نصوص تاريخية حول زيارة قبر الامام الحسين عليه السلام في العهد الاموي

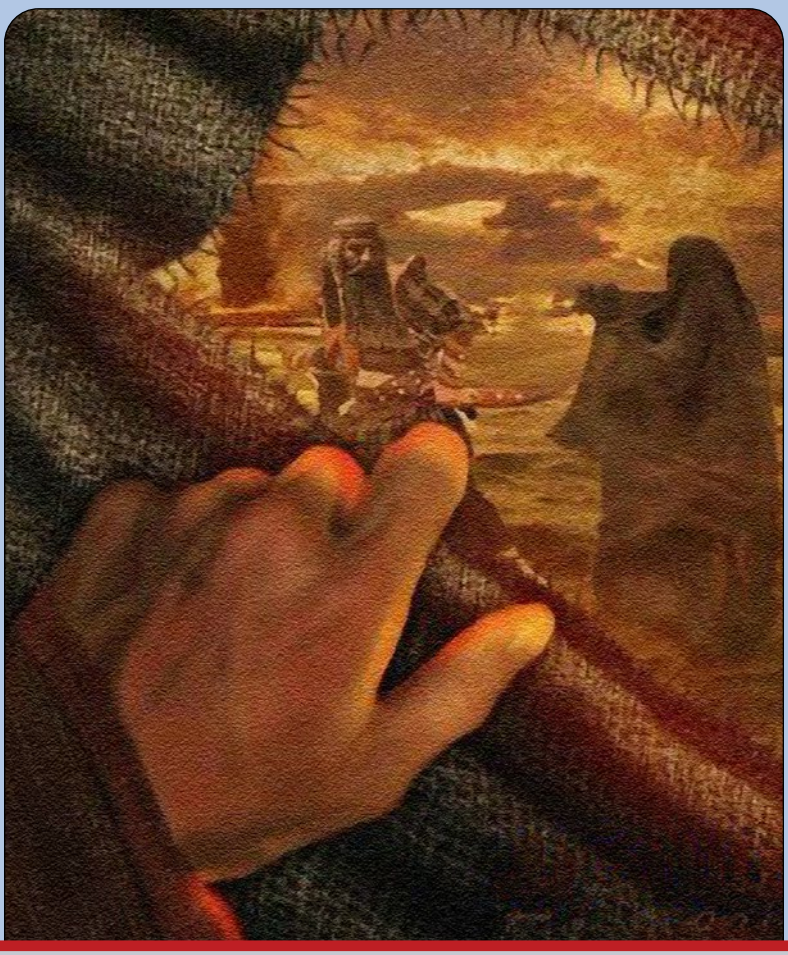

تأليف: د. السيد حسين البدري

إصدارات مركز فجر عاشوراء الثقافي- التابع للعتبة الحسينية المقدسة

١٤٤٦-٢٠٢٤هـ

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العراق - النجف الأشرف
حي الغدير
هاتف : ٩٦٤٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+
fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	نصوص تاريخية حول زيارة قبر الامام الحسين عليه السلام في العهد الاموي
تأليف	:	د. السيد حسين البدري
سنة الإصدار	:	١٤٤٦/٢٠٢٤ - رقم (٥٩)
نوع الإصدار	:	إلكتروني - PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الإلكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من أجزاء هذا الملف أو طباعته في المطابع دون إذن رسمي من المركز

«إني انزل الارجان وقلبي يُنازعُني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وَجِل مُشفق حتى ارجع خوفا من السلطان والسُّعاة وأصحاب المَسالِح، فقال: يا بن بُكير أما تُحب ان يراك الله فينا خائف، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من افزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فان فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة»

المحتويات

المقدمة ٥

النص الأول: زيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري..... ٧

النص الثاني: اهتمام الإمام زين الإمام زين العابدين عليه السلام بزيارة سيد الشهداء ١٥

النص الثالث: استمرار الإجراءات القمعية للسلطة الأموية ضد الزيارة إلى عهد إمامة الباقر عليه السلام ٩٥ حتى ١١٤هـ ١٨

النص الرابع:السلطة الاموية نصبت السُّعات وأصحاب المسالح لتتبع الشيعة وصدهم عن الزيارة ٢١

النص الخامس: الحبس والضرب في الزيارة ٢٥

النص السادس: اغلب زوار الحسين عليه السلام في العهد الاموي كانوامن الكوفة ٣٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين

محمد وآله الطاهرين

وبعد.. تُعدُّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من أهم معالم الهوية الشيعية التي تبلورت طيلة الحقب السابقة منذ شهادة سيد الشهداء عليه السلام وحتى يومنا هذا، وظل الشيعة يحافظون على هذه الشعيرة برغم قيام الطواغيت ضدها. وبقي الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام وإحياء ظلامته وزيارته اهم ما يُعرف به الشيعة، فلا تجد مناسبة دينية مهمة إلا ولهم فيها ذكر للحسين بن علي عليه السلام وإصرار على زيارته امتثالا لإرشادات الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام، ولم يكن هذا الأمر ليحصل دون صبر كالجبال وتضحيات جسيمة وجَلد وإصرار مستمر وتَحمُّل أقسى أنواع الأذى والتنكيل والقتل والتشريد لا سيما في العهود الأولى.

نحاول ان نتناول في هذه الدراسة بعض

النصوص التاريخية المتعلقة بزيارة قبر سيد الشهداء عليه السلام في العهد الأموي والمعانات الكبيرة التي تحملها شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبوهم لاسيما من العراق ونذيلها ببعض التعليقات لقراءة ما وراء السطور على قدر المستطاع.

د. السيد حسين البدري
مسؤول وحدة الأبحاث والإصدارات في مركز
فجر عاشوراء الثقافي
الخميس، ١٧ صفر الخير ١٤٤٦ هـ
الموافق لـ ٢٢/ ٨/ ٢٠٢٤
قم المقدسة

النص الأول: زيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري

قال يحيى بن الحسين الهاروني (ت ٤٢٤) في كتابه تيسير المطالب: حدّثنا محمّد بن عمرو بن مدرك الرّازي، قال: حدّثنا محمّد بن زياد المكّي، قال: حدّثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش عن عطيّة العوفي، قال:

« خرجت مع جابر بن عبد اللهّ الأنصاري زائرا قبر الحسين عليه السلام فلمّا وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثمّ اتّزر بإزار، ثمّ ارتدى بآخر، ثمّ فتح صُرّة فيها سَعد فنثره على بدنه، ثمّ لم يخط خطوة إلّا ذكر اللهّ تعالى حتّى دنا من القبر، فقال عطيّة ألمسنيه فألمسته فخرّ على القبر مغشيا عليه، فرششت عليه شيئا من الماء فلمّا أفاق قال: يا حسين يا حسين يا حسين ثلاثا، ثمّ قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثمّ قال: وأنّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أشباجك وفرّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنّك ابن خير النّبيّين، وابن

سيّد الوصيّين، وابن حليف التّقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وابن سيّد النقباء وابن فاطمة سيّدة النّساء، وما بالك ألا تكون هكذا وقد غذّتك كفّ محمّد سيّد المرسلين وربّيت في حجور المتّقين، وأرضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام، فطبت حيا وطبت ميّتا، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام اللّه ورضوانه، فأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه يحيى بن زكريّا.

قال عطيّة: ثمّ جال ببصره حول القبر، فقال: السّلام عليكم أيّتها الأرواح الطّيّبة الّتي حلّت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنّكم أقمتم الصّلاة، وآتيتم الزّكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وعبدتم اللّه حتّى أتاكم اليقين، والّذي بعث محمّدا صلى اللّه عليه وآله وسلم بالحقّ لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطيّة: فقلت لجابر بن عبد اللّه: وكيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف والقوم فرّقت بين رؤوسهم وأبدانهم فأيتمت الأولاد وأرملت الأزواج؟!

فقال لي: يا عطيّة، سمعت حبيبي رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وآله وسلم يقول: «من أحبّ قوما حشر معهم ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم». والذي بعث محمدا بالحق نبيا ان نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه، خذني نحو أبيات كوفان.

قال: فلمّا صرنا في بعض الطّريق، قال لي: يا عطيّة هل أوصيك وما أظنّني بعد هذه السّفرة ألاقيك؛ أحبب محبّ آل محمّد صلى اللهّ عليه وآله وسلم ما أحبّهم وابغض مبغض آل محمّد صلى اللهّ عليه وآله وسلم ما ابغضهم وإن كان صوّاما قوّاما».[1]

نستفيد من هذه الخبر عدة أمور:

اولا: إن موضع قبر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء كان قد عُرف منذ ذلك العهد المبكر وعرف ذلك بين الخواص والعوام، ولذا استطاع ان يأتي لزيارته الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ومعه التابعي

(١) يحيى بن الحسين الهاروني، تيسير المطالب في امالي ابي طالب: ص١٤٦. ونقل هذا الخبر أيضا الخوارزمي (٥٦٨) في مقتل الامام الحسين عليه السلام ج٢ ص١٩٨. وكذلك نقله المحسن ابن كرامة (٤٩٤) في كتابه تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين ص٩٠. محب الدين الطبري في بشارة المصطفى ص١٢٥، والمجلسي في البحار ج٦٥ ص١٣٠. وغيرهم.

عطية العوفي، وعبارة «حتّى دنا من القبر» صريحة في هذا المعنى، فان شهادة الإمام الحسين عليه السلام كانت بكربلاء وقد شهد ذلك عسكر عبيد الله بن زياد اجمع، والدَّفن كان مع حضور مجموعة من رجال ونساء بني اسد، قال الخوارزمي: «عمد أهل الغاضرية من بني أسد فَكفَّنوا أصحاب الحسين، وصلّوا عليهم، ودفنوهم، وكانوا اثنين وسبعين رجلا».[1] ومصادر الشيعة تذكر بوضوح ان الذي دفنه هو الإمام زين العابدين صلوات الله عليه وبقية القتلى وكان بنو اسد يعينونه في ذلك.[2]

ثانيا: ان شعيرة زيارة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين كفكرة دينية كانت متأصِّلة لدى المسلمين لاسيما أخيار الصحابة والتابعين، لوجود الأصول القرآنية التي تشرعها، منها قوله تعالى: ﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ النساء/ ٦٤ ومحل الشاهد قوله عزوجل: ﴿جاؤُكَ﴾ فهي تشمل حالة

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص ٤٤.
(٢) الخوئي، معجم رجال الحديث: ج١٢ ص ٢٤١.

الحياة والموت لا فرق، قال السبكي[1]: «والعلماء فهموا من الآية العموم لحالَتَي الموت والحياة، واستحبّوا لِمن أتى القبر أن يتلوها»، وهناك آيات أخرى تراجع في محلها.[2] وأما السنة النبوية المهَّطرة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لا يَنْزِعُهُ إِلاَّ زِيَارَتِي، كَانَ لَهُ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]، والإجماع قائم بين المسلمين على أن زيارة قبره صلّى الله عليه وآله سُنّة.[4]

وأما شرعية زيارة قبور أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهي مبنية على أن لهم ما للنبي صلى الله عليه وآله من المقام المنزلة الإلهية إلا النبوة والأزواج، ودلَّ على ذلك حديث الغدير والمنزلة والثقلين ونزول آية التطهير وغيرها. والاهم من ذلك آية المودة: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

---

(١) قال عنه شمس الدين الداودي في طبقات المفسرين: «تقي الدين أبو الحسن الفقيه الشافعي المفسر الحافظ الأصولي النحوي اللغوي المقرئ البياني الجدلي الخلافي النظار البارع، شيخ الإسلام أوحد المجتهدين». وهو من اجل علماء اهل السنة وله مؤلفات كثيرة تزيد على مائة وخمسين في جميع العلوم والفنون الشرعية.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء باحوال المصطفى: ج٤ ص١٨٥.

(٣) ابن المقري، معجم ابن المقري، ص ٨٠ - حديث ١٥٨. وقد صححه الحافظ ابن السكن. وقد ذكر السمهودي احاديث كثيرة في هذا المعنى.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا بأحوال المصطفى، ج٤ ص١٨٦.

﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1] ومن المودَّة زيارتهم والحضور عندهم وإظهار المحبة لهم وضدها الجفاء وجحود أجر الرسالة. وقد ندب إلى الزيارة وفضلِها أهل البيت عليهم السلام انفسهم في أحاديثهم الكثيرة. وعليه فان زيارة الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي مبني على قاعدة دينية واضحة وهي عبادة حالها سائر العبادات المندوبة وهذا يفسر ما صنعه الصحابي جابر من الطهارة وذكر الله فيها.

يذكر انه كانت سيرة ولاة بني أمية هو محاربة زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله فالمصادر نقلت لنا عيب الحجاج بن يوسف الثقفي على من يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله: قال ابن ابي الحديد: «وخطب الحجاج بالكوفة فَذَكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة، فقال: تبا لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله»[2]، ويظهر من هذا

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص ٢٤٢. وأيضا أورده الجاحظ في رسائله ج٢ ص ١٣-١٤. وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد ج ٣ ص٤٤٥. والمبرد ذكر ان الحجاج قال ذلك في مسجد النبي صلى الله عليه وآله والناس يطوفون بالقبر الشريف انظر الكامل في اللغة والادب ج ١ ص ١٧١

النص بوضوح ان زيارة النبي صلى الله عليه وآله كان شعيرة التزم المسلمون بها. قال القاضي عياض: «قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن مَن حَجَّ المرور بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والتبرك برؤية روضته، ومنبره، وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطئ قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، وينزل جبريل بالوحي فيه عليه، وبمن عمره، وقصده من الصحابة، وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كله».[1]

ثالثا: ان زيارة قبر الحسين عليه السلام في عهد بني أمية كانت تتم على خوف من السلطان وهذا يفسر السرية التامة في هذه الزيارة فلم يصطحب جابر بن عبد الله معه غير عطية العوفي لوثوقه به وسوف يأتي تفصيل الكلام عن فترات الخوف. ويشهد لهذا الأمر النص المتقدم من الحجاج في عيبه على زوّار قبر النبي صلى الله عليه وآله، فمن الطبيعي ان من كان رأيه هذا بزيارة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله أن يكون رأيه

(١) انظر: القاضي عياض (٥٤٤)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص٤٤٥.

أسوأ بزوار قبر رمز الشهادة والنجاة من الضلال سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام الذي تُذكِّر زيارته الناس بما فعلته الدولة الأموية بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبالجرائم التي ارتكبت في حق شيعته الذين آزروا ونصروا سيد الشهداء عليه السلام. وحقد الحجاج الثقفي وجرائمه على شيعة علي عليه السلام اشهر من ان يخفى على احد.

رابعا: وقول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله «**لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه**» وسؤال عطية وجوابه على التساؤل يفسر لنا جانبا من آثار الزيارة على المسلمين، فان زيارة سيد الشهداء عليه السلام هي نصرة للحق ومشاركة معه عليه السلام في نهضته لهداية الأمة المسلمة من الضلال الأموي، فالحسين عليه السلام هو مصباح الهدى وسفينة النجاة. وهذا لا يختص بزمان دون آخر بل جار حتى ظهور صاحب الأمر عليه السلام.

النص الثاني: اهتمام الإمام زين الإمام زين العابدين عليه السلام بزيارة سيد الشهداء

عن الأمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام يسأل زائدة الثقفي (ابن عم المختار): «بلغني يا زائدة[1] انك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحيانا، فقلت: ان ذلك لكما بلغك، فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا. فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا احفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله ان ذلك لكذلك، فقلت: والله إن ذلك لكذلك - يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا - فقال: ابشر ثم ابشر»[2]

---

(١) زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي ابن عم المختار بن يوسف الثقفي انقلب على مصعب بن الزبير وطعنه في المعركة فائلا يا لثارات المختار، وجه الحجاج زائدة بن قدامة الثقفي في جمع للقاء شبيب بن يزيد الخارجي سنة ٧٦هـ الا ان زائدة قتل في تلك المعركة، انظر تاريخ خليفة بن خياط: ص١٧٢، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٢٩٥.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص٤٤٤.

يستفاد من هذا النص:

أولا: إن الإمام زين العابدين عليه السلام كان له اهتمام كبير بتعريف وتعليم المسلمين ولاسيما الشيعة بكيفية التعامل مع هذا الخطب العظيم وهو مقتل سبط النبي الأكرم صلوات الله عليهما، فانه يشكِّل صَدمة كبيرة وما كان يُستطاع الخروج منها بهدى وبصيرة لولا جهوده عليه السلام. لذا تولى مهمة تثقيف المسلمين بهذه الظلامة وكيفية التعامل معها في مواضع كثيرة.. منها لما رجع من السبي مع نساء آل البيت إلى المدينة وعند اجتماع أهل المدينة عنده يعزُّونه بابيه الحسين عليه السلام قام خطيبا فقال: «**أيّها القوم! إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبدالله، الحسين، وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.. أيها الناس! فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله...**».[1]

اجل هكذا يجب ان يفهم المسلمون شهادة

(١) السيد ابن طاووس، اللهوف، ص١١٧، أنوار الهدى - قم- ايران١٤١٧هـ.

الحسين عليه السلام أنها ثلمة في الإسلام عظيم ولا رزية مثلها.. والحزن والبكاء على مصابه وزيارته عليه السلام هو السبيل الوحيد للنجاة تجسيدا للمودة وان خلافه الجفاء والعصيان. ومن هذا الاهتمام هو تشجيع الشيعة نحو زيارة الإمام الحسين عليه السلام كعمل عبادي ديني يرجى منه الجنة وجزيل الثواب والثبات على الإيمان، لان زيارته وإحياء شهادته وظلامته إحياء للدين والهداية من الضلال وهو غاية نهضة سيد الشهداء عليه السلام، وبذلك مهَّد الإمام عليه السلام الشيعة لتتبلور عندهم أهم أركان التشيع بعد معرفة الإمام والإيمان به ألا وهو زيارة الحسين عليه السلام.

ثانيا: ويُستفاد من النص أيضا قَلق الإمام زين العابدين عليه السلام على الشيعة من الدولة الأموية التي اتخذت من يوم عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور وشددت الإجراءات للنيل من الشيعة وممن يحيي شهادة سيدة الشهداء عليها السلام، وإخبارهم أن الزيارة حتى عند الخوف عمل مشروع ندب إليه الشرع المقدس.

النص الثالث: استمرار الإجراءات القمعية للسلطة الأموية ضد الزيارة إلى عهد إمامة الباقر عليه السلام ٩٥ حتى ١١٤هـ

عن زرارة، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك على خوف، قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك»[1].

يستفاد من هذا النص:

اولا: ان الخوف في عهد الدولة الأموية والإجراءات القمعية امتدت واستمرت إلى زمن إمامة الإمام الباقر عليه السلام ٩٥هـ الى ١١٤هـ اي بعد عهد الحجاج فكانت الزيارة تقام ولكن مع القلق والخوف من الدولة الأموية وولاتهم السوء الحاقدين على شيعة علي عليه السلام. وبالنظر إلى صيغة السؤال الفتوائية؛ يفتي عليه السلام بالاستحباب حتى في حالة الخوف.

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ٢٤٢.

وهناك نصوص عديدة يُسأل فيها الإمام الباقر والصادق عليهما السلام نظرا للظرف القاسي في عهد الدولة الأموية عن الحكم الشرعي للزيارة في هذا الحالة؛ فيأتي الجواب بالاستحباب والندب.

عن محمد بن مسلم قال: «**قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في اتيانه امن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة وزاره النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله**»[1].

ثانيا: أن الزيارة تحولت عند الشيعة إلى هوية تتبلور بها إحدى أهم أركان التشيع تجسيداً للمودَّة التي أمر به الكتاب العزيز ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ الشورى/ ٢٣، فالزيارة مفترضة لمن دان بالولاء لاهل البيت عليهم السلام قال الباقر عليه السلام:

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ٢٤٤.

«مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإن اتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل»[1].

ثالثا: وكان الشيعة اتباع أهل البيت عليهم السلام يتعاهدون زيارة قبر الحسين صلوات الله عليه برغم الخوف والوجل، ولكن لم يكن لها بروز في الميدان الاجتماعي كظاهرة بسبب قمع السلطة الأموية.

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص٢٣٦.

النص الرابع: السلطة الاموية نصبت السُّعاة وأصحاب المسالح لتتبع الشيعة وصدهم عن الزيارة

عن ابن بُكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: «إني انزل الارجان[1] وقلبي يُنازعُني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وَجِل مُشفق حتى ارجع خوفا من السلطان والسُّعاة وأصحاب المَسالِح، فقال: يا بن بُكير أما تُحب ان يراك الله فينا خائف، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من افزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فان فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة». [2]

أولا: نجد في هذا النص تفاصيل اكثر حول الخوف الذي يحصل للشيعة في العهد الاموي أثناء الزيارة، فان السلطة وضعت مسالح وهو جميع مسلحة وهو المكان الذي أعدته الدولة لحفظ الأمن وفيه الرجال

(١) هي ريف او مدينة نحو الاهواز من جهة شيراز.
(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص ٢٤٣.

والسلاح والنص يذكر مسالح بصيغة الجمع أي ان هناك نقاط ومواضع متعددة جعلتها السلطة الأموية في الطرق المؤدية إلى القبر الشريف من اجل الإمساك بالزائرين وتخويف الناس وإبعادهم عن الزيارة.

ثانيا: وَضعت السلطة السُّعاة جمع ساع وهم الجواسيس الذين يتحسَّسون أخبار الزائرين فيُثبتون أسماءهم وأسماء آبائهم من اجل ان تظفر بهم السلطة، فتزُج بهم في السجون.

ثالثا: من اجل فهم مقدار الخوف الذي كان يجول في روع الزائرين نلقي نظرة مُصغَّرة على سجون الدولة الأموية التي أعدتها لإنزال العذاب والتنكيل بمن يخالف السلطة لا سيما زائري قبر الحسين عليه السلام.

فقد بنى الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي عليه لعائن الله سجنا يعرف بـ «سجن الديماس» بمدينة واسط عاصمة ولايته. ويَصف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فظاعة هذا السجن فيقول: «**إنه حائط محوط، ليس فيه مآل (مأوى) ولا ظلّ..، فإذا آوى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها رمتهم الحرسُ بالحجارة، وكان يُطعمهم خبز الشعير**

مخلوطا به الملح والرماد، فكان لا يلبث الرجل فيه إلا يسيرا حتى يَسودّ فيصير كأنه زنجي!!». [1]

ويحكي الراغب الأصفهاني أن الحجّاج «خرج يوماً إلى الجامع فسمع ضجة عظيمة، فقال: ما هذا؟! قالوا: أهل السجن يضجون من الحر!! فقال: (اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ)» [2].

وقال الذهبي: «عُرضتْ السُّجون بعد موت الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب! وقال الهيثم بن عدي (الطائي المؤرخ المتوفى ٢٠٧ هـ): هلك الحجاج وفي سجنه ثمانون ألفا، منهم ثلاثون ألف امرأة!!» [3]

أقول: والكثير من هؤلاء السجناء من اهل العراق.

ويظهر من هذه النصوص المتعلقة بسجن الحجاج ثلاث حقائق:

الأولى: أنها في غاية الفظاعة والقساوة التي نهى الإسلام عنها وحرمها تجاه المسجونين والاسارى.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج٦ ص٣٤٢.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ج٢، ص٢١٥.-
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج٦، ص ٣٢٣.

الثانية: أنها مُعدة لإرهاب المجتمع الإسلامي وبخاصة شيعة العراق فان مِصرهم هو الوحيد الذي نصر أهل البيت عليهم السلام وآزرهم أحياء وأمواتا وقتل قتلة الحسين عليه السلام واستمر بالثورة ضد الأمويين والتف رجاله حول الأئمة من ذرية سيد الشهداء عليه السلام ينتهلون من علومهم ويروون أحاديثهم حتى عُرفت الاسر العلمية في الكوفة كآل اعين وآل ابي حمزة الثمالي وغيرهم.

الثالث: ان الكثير ممن وجد فيها ليس له جريمة يدان عليها وسُجن على الظِّنة والتُّهمة. ومنه نفهم عمل السُّعاة الذي تتحدث عنه الرواية.

النص الخامس: الحبس والضرب في الزيارة

«عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، قال: أتاه رجل فقال له: يا بن رسول الله هل يُزار والدك، فقال: نعم، ويصلى عنده، إلى ان قال قلت: فما لمن حُبس في إتيانه (أي في زيارته)، قال: له بكل يوم يحبس ويغتم فرحة إلى يوم القيامة، فان ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكل ضربة حوراء، وبكل وجع يدخل على بدنه ألف ألف حسنة..»[1].

أولا: وهذا النص صريح في السؤال عن الحبس الذي يُعد أوسع ظاهرة شهدها المجتمع العراقي زمن الأمويين لاسيما في عهد الحجاج فما بعد؛ نكالا وعقابا لمن يزور سيد الشهداء عليه السلام.

ان ظاهرة امتلاء السجون بالآلاف لم يشهدها مدينة ولا مصر في العالم الاسلامي الا الكوفة وذلك لكثرة من بها من الشيعة.

---

(١) جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات: ص ٢٤١.

قال العلامة المظفر: «ان عبيد الله بن زياد سجن اثني عشر ألفا من الشِّيعة ولم يترك واحدا (من زعمائهم طليقا)»[1].

وقد اكد هذه الحقيقة الدكتور علي حسني الخربوطلي في كتابه: المختار بن عبيد الثقفي.[2]

هذا؛ ولا توجد إحصاءات دقيقة لعدد المسجونين من الشيعة في عهد الدولة الأموية ولكن ما ذكره الشيخ المظفر كمثال واكده الخربوطلي إنما هو تخمين قائم على أساس حسابات تقريبية وفي النص السابق ذكرنا ان أعداد المسجونين من الشيعة وغيرهم في سجن الحجاج هم عشرات الآلاف.

ثانيا: وفي هذا المضمار ننقل نصاً آخر عن ابن أبي الحديد يعطي تفاصيل اوضح عن معاناة الشيعة في العراق في عهد الدولة الاموية:

«روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته

(١) المظفر، تاريخ الشِّيعة: ص ٣٤.
(٢) ص ٧٤-٧٥.

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق الا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته...

الى أن يقول: ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم

يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة...

إلى ان يقول: .. ثم تفاقم الامر بعد مقتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف».[1]

والإمام الباقر عليه السلام يقول: «... جاء الحجاج فقتلهم [الشيعة] كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال: شيعة علي».[2]

ومن تلك الاسماء اللامعة التي قتلها الحجاج ظلما لا لذنب بل لتشيعهم وتوليهم عليا عليه السلام سعيد بن جبير وكميل بن زياد النخعي وقنبر، وقد طلب الحجاج سليم بن قيس الهلالي صاحب الكتاب المعروف فهرب نحو البصرة ثم نحو فارس ثم نوبندجان وآوى إلى أبان بن أبي عياش ثم مرض

(١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٤ الى ٤٧.
(٢) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٢٩.

وتوفي سنة ٧٦هـ هناك.

وقد كان الحجاج اكثر الناس وفاءً لآل أمية وخضوعا لهم، بسبب جهوده في قمع الشيعة، فأعطاه الأمويون مكانة مرموقة في دار الخلافة، مما دعا عبد الملك بن مروان أن يوصي ابنه الوليد- وهو على فراش الموت- أن يهتم بالحجاج[١]، وقد سمّى عبد الملك أحد أبنائه حجاجاً[٢]. وأما الوليد فقد بالغ في تكريم الحجاج حيث اردف مقولة أبيه الذي كان يعتبره جلدة ما بين عينيه قائلا: «ألا وإن الحجاج جلدة وجهي كلّه».[٣]

(١) البلاذري، أنساب الشرف، ج٦، ص٣٢٢.
(٢) البلاذري، أنساب الشرف، ج٦، ص٣٠٣.
(٣) الدينوري، عيون الأخبار، ج٢، ص٤٩.

النص السادس: اغلب زوار الحسين عليه السلام في العهد الاموي كانوا من الكوفة

محمد بن سليمان، قال: حدثني عمي، قال: «لما خفنا أيام الحجاج، خرج نفر منا من الكوفة مستترين، وخرجت معهم فصرنا إلى كربلاء، وليس بها موضع نسكنه، فبنينا كوخا على شاطئ الفرات وقلنا ناوي إليه، فبينا نحن فيه إذ جاءنا رجل غريب فقال: أصير معكم في هذا الكوخ الليلة فإني عابر سبيل، فأجبناه وقلنا غريب منقطع به. فلما غربت الشمس وأظلم الليل أشعلنا، فكنا نشعل بالنفط، ثم جلسنا نتذاكر أمر الحسين بن علي (عليهما السلام) ومصيبته وقتله ومن تولاه...»[1]

والرواية تذكر سوء عاقبة هذا الرجل الغريب لانه كان ممن اشترك في قتل الامام الحسين عليه السلام.

ويظهر من هذا النص:

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي: ص ١٦٣.

أولا: ان الخوف والقلق الذي وُجد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العهد الأموي كان أول أمره في زمن عبيد الله ابن زياد كما ظهر ذلك من خبر زائدة المتقدم. ثم لما تغير الوضع السياسي وانفلت أثر ثورة سليمان بن صرد والمختار وثورة ابن الزبير وغيرها كانت هناك فُسحة ومجالا مُدة عشرين سنة إلى أن مَلك عبد الملك بن مروان الامر وسلط الحجاج على أهل العراق وبنى سجونه لمواجهة الشيعة وزوار الإمام الحسين عليه السلام، وجعل المسالح والسُّعات على الطرقات للإمساك بهم، كما انه ظهر من النصوص المتقدمة أيضا ان الخوف من بعد الحجاج استمر حتى نهاية سقوط الدولة الأموية.

ثانيا: الرِّجال الذين كانت تستعملهم الدولة في العراق لأجل الوقوف اما الزائرين والامساك بهم وإيداعهم السجن كانوا من أهل الشام كما يظهر ذلك من خبر الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي قال: «خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفيا من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلا، فاختفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب

من الليل نصفه أقبلت نحو القبر... »[1].

ويشهد أيضا لذلك خطبة الحجاج الثقفي في الكوفة بعد قتل محمد بن الاشعث وفيها قابَلَ بين أهل العراق وأهل شام الذين جاؤوا لنصرته: «... إنكم [اهل العراق] أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق، طالما اوضعتم في الضلال وسننتم سنن البغي... يا أهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم منكم والعصب والأعضاء والأطراف... ثم التفت إلى أهل الشام الذين معه فقال لهم: يا أهل الشام انا لكم كالظليم المحافظ على فراخه، ينفي عنهن القذر ويباعد المدر ويحرسهن من الذباب، انتم العُدَّة والجُنَّة ان حارب محارب وجانب مجانب»[2].

ثالثا: ان الشيعة كانوا يخرجون لزيارة الإمام الحسين في العهد الأموي أما فرادى او على شكل جماعات قليلة العدد مع الحيطة والحذر من الدولة الأموية باستخدام شتى الطرق من اجل الوصول للزيارة والأمن من الوقوع في ايدي السلطة. ولذا نجد الوصية من الإمام الصادق عليه السلام ان يكون رحل الزائر في ذلك الزمن العصيب في نينوى او

(١) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٢١.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص ٢١٧.

الغاضرية[1] لان هذه المناطق قريبة من القبر الشريف ومأهولة بالناس وحتى يأمن الطلب ويُستفاد من الفرصة للحضور إلى الزيارة دفعا للمخاطر.

رابعا: ان الزوّار كانوا في أثناء الزيارة يتذاكرون مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام والفجائع التي ارتكبت بحقه وعليه فالزيارة من الأمور التي دفعت الشيعة لرواية المقتل والتأليف فيه، كما أنها دفعت الشعراء والأدباء في قول الشعر والمراثي إلى جانب تشجيع أهل البيت عليهم السلام على ذلك.

خامسا: إن غالب من كان يأتي لزيارة الحسين عليه السلام هم شيعته من أهل العراق لاسيما الكوفة كما يظهر من الرواية والنصوص المتقدمة فإنها بلد شيعة أهل البيت عليهم السلام وحملة مشعل الولاء لهم. وقد حظيت الكوفة بتكريم كبير من قبل اهل البيت عليهم السلام وبروايات كثيرة ومعتبرة:

منها عن عبد الله بن الوليد قال: «دخلنا على أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام فسلمنا عليه وجلسنا بين يديه.

فسألنا: من انتم؟

فقلنا: من أهل الكوفة.

---

(١) الشيخ المفيد، المزار: ص١٢٦.

فقال: أما إنه ليس بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة.

إن الله هداكم لأمر جهله الناس، أحببتمونا وأبغضنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، واتبعتمونا وخالفنا الناس. فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا». (١)

ومنها: عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «يأهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار»(٢). والشعار ما يُلامس البدن من اللباس.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ان الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة». (٣)

وطالما كان الإمام الصادق عليه السلام يدعو لزوار قبر جده الأمام الحسين عليه السلام وقد رواه الثقة معاوية بن وهب وهذا نصه:

«قال: استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي ادخل فدخلت فوجدته في مصلاه، فجلست حتى

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي: ج٨، ص٨١.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١ ص٣٦٨عن الكافي (ج٨ ص٨١) ورواه الصدوق أيضا.

(٣) الصفار، بصائر الدرجات: ص ٩٦. وابن قولويه، كامل الزيارات: ص٣١٣. والحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٠ ص٤٠٦.

قضى صلاته فسمعته وهو يُناجي ربّه وهو يقول:

يا من خَصنا بالكرامة، وخَصنا بالوصية، ووَعدنا بالشّفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا،

اغفر لي ولأخواني،

ولزوار قبر أبي الحسين عليه السلام الذين انفقوا أموالهم واشخصوا ابدانهم رغبة في برنا،

ورجاءً لما عندك في صلتنا،

وسُروراً ادخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله واجابة منهم لأمرنا،

وغيظاً ادخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك،

فكافهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على ابنائهم وأهاليهم واقربائهم.

اللهم: ان اعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم يمنعهم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبدالله، وارحم تلك الأعين التي

جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا.

اللهم: إني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى توافيهم على الحوض يوم العطش.

فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو ان هذا الذي سمعت كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً!!

فقال عليه السلام: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء اكثر ممن يدعو لهم في الأرض.[1]

والحمد لله أولا وآخرا.

(١) الكافي: ج٤ ص ٥٨٢.

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة

fajrashura.com